(اجتنبوا كثيراً من الظن)

الحمد لله رب العالمين، عرفنا ربنا باليقين، فما الكون إلا منه، وبه نستعين، وأشهد أن لا إله إلا الله الإله الحق المبين، نهانا عن سوء الظن بالآخرين، وأشهد أن سيدنا محمدًا إمام المرسلين، والرحمة المهداة للناس أجمعين . صلى الله عليه وسلم . عدد القائمين والنائمين وعدد المتكلمين والساكتين وعدد الطائعين والعاصين، أما بعد:

فيا أيها المؤمنون إن قِوام الحياة دنيا ودين يقوم على اليقين، فما عرفنا الله عن شك أو توهم، بل عرفناه بالبرهان العقلي والدليل المنطقي، وما عبدناه عن ظن وتخمين، بل نعبده وندعوه ونحن على يقين بأنه يرى ويسمع ويريد ويقدر، وله كل كمال وجمال وجلال.

ولما كان اليقين مستندًا دينيًا كان مطلبًا حياتيًّا ومبدأً اجتماعيًّا، فلا نحكم على نوايا الناس اعتمادًا على الظن والهوى، ولا نقيم أحكام الشريعة على تخمين أو تلقين، بل على الاستدلال والبرهان أو الاعتراف والإقرار، ولهذا نتحدث عن أمر إلهي قال فيه ربنا جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ . سورة الحجرات: الآية 12..

فما الظن؟ وما خطورته؟ وكيف نجتنب الظن؟

الظن: تُهمةٌ تقع في القلب بلا دليل، وفرّق العلماء بين الشك والظن والتوهم بأن الشك: هو تساوي الاحتمالين بنسبة 50% لكل منهما، فلا تستطيع ترجيح وقوع الأمر أو عدمه. والظن: هو ترجيح أحد الاحتمالين على الآخر مع بقاء الاحتمال الضعيف وارداً (مثل غلبة الظن بنسبة 70%). والتوهم: هو القول بالاحتمال الأضعف أو المرجوح الذي لا يقوم عليه دليل معتبر.

والظن نوعان محمود قليل ومذموم كثير، ولذلك نهانا الله عن الظن الكثير المذموم وهو الذي يتعلق بحق الغير كأن نظن بالناس السوء.

والمحمود: ما يرقى بالنفس والمجتمع والوطن، كالأخذ بالحذر والحيطة في التعامل مع الآخرين كأن نسأل عمن نناسبه أو نتفقد البضاعة قبل إعطاء الثمن أو نتهم الشاهد

قبل أن نأخذ بشهادته لنتأكد من إيصال الحق لأهله، وفي يقول الحكماء سوء الظن من حسن الفِطَن.

وبالفطرة فكلنا نطبق الظن المحمود حرصًا على مصالحنا ومصالح أهلنا، لكن نقع من حيث لا ندري في الظن السيء المذموم.

وتتمثل أضرار وخطورة الظن السيء في الأمور التالية:

(١) البعد عن منهج الله، قال تعالى ﴿وإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ . سورة الأنعام 116.

(٢) الوقوع في الخطأ ينشأ عن طريق الظن قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ . سورة النجم 28. وكم من بيوت خُربت وأسر هُدِمَت وأرحام قُطِعت بناءً على مجرد الظن.

(٣) سلاح الشيطان ولسان إبليس في قطع العلاقات عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: (إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا) متفق عليه.

ومعنى الحديث احذروا من سوء الظن بالآخرين واعتقاد الشر فيهم، واتهامهم بسوء العمل دون دليل أو حجّة .فإنّ الظنّ أكذب الحديث أي حديث النفس، وهو ما يقع في نفس العبد، وما يخطر في قلبه وعقله من الظنون السيئة والأفكار الكاذبة فهذا من أكذب ما يُحدّث به العبد نفسه، ولا ينبغي الالتفات إليه لأنّه من وسوسة الشيطان، أو يكون المراد به حديث اللسان غير المستند على دليل فهذا من أكذب الأحاديث ومن أبعد الأقوال عن الحقيقة، ولا يجدر بالمسلم الخوض بالحديث بناءً على الظنون.

(٤) سوء الظن ذنب يجب المتاب منه في الحال. قال ابن عباس . رضي الله عنهما. (إنَّ الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه، وأن يظنَّ به ظنَّ السوء)، وقال الإمام النووي . رحمه الله .: اعلم أن سوء الظن حرامٌ مثل القول، فكما يحرم أن تُحَدِّث غيرَك بمساوئ إنسان، يحرم أن تحدث نفسك بذلك وتسيئ الظن به.

بإمكاننا أن نجتنب الظن؛ امتثالًا لأمر الله وتأسِّيًا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق ما يلي:

(١) زِن الناس بما تحب أن تُوزَن به، وأحسن الظن بالناس كما تحب أن يحسنوا بك، والتمس لأخيك عذرًا إلى سبعين عذرًا، فإن لم تجد فقل: لعل له عذرًا لا أعلمه. قال سعيد بن المسيب –رحمه الله تعالى:

"كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول –صلى الله عليه وسلم–: أن ضعْ أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنَّ بكلمةٍ خرجت من امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً" رواه البيهقي.

(٢) انأَ بنفسك عن كل مواطن الإثم أو سوء الظن فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ﴿فمنِ اتَّقى الشُّبهاتِ فقدِ استبرأَ لدينِهِ وعرضِهِ﴾ متفق عليه.

(٣) أن نقطع الشك باليقين وأن نطبق الأمر الإلهي ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ . الحجرات 6.، ومن المبادئ الدينية والاجتماعية قاعدة (اليقين لا يزول بالشك) فالأخوة بينك وبين أخيك لا تزول بالشك لمجرد أن مرّ عليك أو رآك ولم يسلم عليك، فعلاقتك بزوجك أو أمك أو بنتك يقين لا يزول لمجرد أن تلسّن عليها أهل الزيغ والضلال، فصلة رحمك يقين لا تقطعها لمجرد الظن في إساءتهم أو انشغالهم.

نسأل الله أن يجنبنا الظن السيء وأن ينعم علينا باليقين والصدق في الأقوال والأفعال والنوايا.

كتبه فضيلة الشيخ: محمد حسن عبد العظيم مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.